مجلة الشهاب • المجلد: 07، العدد: 02 (2021م) • ص ص 305 - 326
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

مواقف علماء الجزائر في مواجهة مشاريع الاحتلال الفرنسي

Views of Algerian scholars in the face of French occupation projects

ط.د/ علي بن زينب *
مخبر الدراسات الفقهية والقضائية- جامعة الوادي
Benzineb.ali@hotmail.com

أ.د/ عبد الكريم بو غزاله
مخبر الدراسات الفقهية والقضائية- جامعة الوادي
gazala300@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/24 تاريخ القبول: 2021/05/02 تاريخ النشر: 2021/07/15

ملخص:
عرفت الجزائر بدخول الاحتلال الفرنسي أبشع أنواع الاستعمار المادي والروحي، طيلة قرن وثلث قرن، شهد الجزائريون خلالها قوانين تعسفية وقرارات جائرة شملت جميع مجالاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وإذا كان مختلف شرائح المجتمع الجزائري قد عرف ردود فعل مختلفة تجاه الأوضاع التي عرفها الجزائريون فترة الاحتلال، فإن هذا البحث جاء ليسلط الضوء على علماء الجزائر ومواقفهم المتباينة تجاه هذه السياسات الفرنسية الجائرة طيلة فترة الاحتلال، من خلال الإجابة على إشكاليتين مهمتين: الأولى: ما هي أبرز هذه القوانين التي شهدتها الجزائر؟ والثانية: ما هي أبرز هذه المواقف التي تصدى بها العلماء لهذه السياسة؟ حيث خلص البحث إلى إبراز مواقف متنوعة لعلمائنا الجزائريين في مواجهة مشاريع الاحتلال الفرنسي من خلال عرض خمس مواقف منها المحمود ومنها المذموم ومنها ما يحتمل الأمرين، وهذه المواقف هي: المواجهة والقتال، الصدع بالحق، المداراة، المداهنة، وأخيرا السكوت.

الكلمات المفتاحية:
مواقف؛ العلماء الجزائريين؛ مشاريع؛ الاحتلال الفرنسي.

Abstract :
Algeria was known during the French occupation, which continued for about a century and a third, of the worst types of material and spiritual colonialism. Algerians were subjected to arbitrary laws and unjust decisions that covered all their political, economic, social and religious fields.
This research includes the different views of Algerian scholars towards these unjust French policies throughout the occupation period.
Keywords: Views; Algerian scholars; Projects; the French occupation.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فلا يخفى على كل مسلم منزلة العلماء في الأمة، وأنها من أسمى المنازل وأعلاها، فهم ورثة الأنبياء، ونجوم هذه الأمة، ويشهد لهذه المكانة قوله تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: 11]. وهذا في مقابل العبء الثقيل الذي يتحملونه، إذ يُلجأ إليهم في الملمّات التي تعصف بالمجتمع أفراداً وجماعات، أشخاصاً وحكومات. علما أن دور العلماء لا يقف عند حد التعليم والإرشاد والتثقيف، بل يتجاوز ذلك كله إلى إصلاح المجتمع ونشر تعاليم الدين الصحيح وإزالة المنكرات، ليكون المجتمع المسلم نموذجاً حياً للبشرية؛ وقد بذل العلماء رحمهم الله، وما زالوا، جهودا مشكورة على مر العصور؛ حيث أبان عدد منهم عبر تاريخ الإسلام عن شجاعتهم وصرامتهم، من خلال مكافحتهم لمظاهر التطرف والانحراف والانحلال، والسهر على وحدة المسلمين وتماسكهم، والتصدِّي لكل ما من شأنه أن يزعزع أمن الأمة واستقرارها. لكن في المقابل اختار عدد آخر أساليب أخرى في التصدي لهذه المظاهر؛ منها المحمود ومنها المذموم.

ومعلوم أنّ هذه الشجاعة والصرامة تتطلب وجود عوامل مهمة أهمها الإخلاص لله عز وجل الذي يرتكز على تجريد النية لله عن كل ما سواه، فلا يُقدِّم العالم على رضا الله رضا أحد كائناً من كان، مع الاستقلالية عن كافة الأهواء البشرية والتجرد لرب البرية سبحانه وتعالى. حتى يكون عالم ملّة تُشكر مساعيه، لا عالم أمّة أو دولة تذم نواياه[1].

وإذا سبرنا أحوال علمائنا عبر تاريخ الإسلام نحو النوازل التي أصابت بلدانهم نجد لهم مواقف متباينة، كثير منها مشرف، والبعض الآخر عكس ذلك؛ ومن ذلك الفترة العصيبة التي عاشتها الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي؛ حيث طبّق المحتل الفرنسي سياسة تعسفية طيلة قرن وثلث قرن، استحق بها أن يُعتبر أسوأ استعمار أوروبي عرفته الدول المحتلة، فحاول أن يستولي على أرض الجزائر عنوة، وينسف مقومات الأمة الجزائرية، ويسلخها من دينها ولغتها ووطنيتها وعاداتها، وفي نفس الوقت يُبقيهم في الدرك الأسفل من الترتيب الإنساني؛ كل ذلك كان يسير عن طريق سلوك سياسة ممنهجة، شملت الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني. وقد جاء هذا البحث ليستقرئ مواقف علماء الجزائر المتباينة تجاه هذه التعسفات الفرنسية فترة الاحتلال، بذكر نماذج لكل موقف.

1. 1. **أهمية البحث**: وتتجلى أهمية هذا البحث في التالي:

- استقراء مواقف علماء الجزائر في هذه الحقبة التاريخية الصعبة من تاريخ الجزائر.

- الاطلاع على المواقف المشرّفة لبعض علماء الجزائر وفي نفس الوقت كشف بعض المواقف السلبية .

- إمكانية الاستفادة من هذه المواقف في واقعنا المعاصر.

1. 2. إشكال البحث:

يقوم هذا البحث على إشكالية رئيسة مفادها أن المحتل الفرنسي قد عاث في الجزائر فسادا وجورا بسياسته وقوانينه طيلة قرن وثلث قرن، فما هي مواقف علماء الجزائر المختلفة الطرائق تجاه هذه التعسفات الفرنسية ؟

وهذا يجر إلى إشكالات فرعية:

ما هي أبرز القوانين والإجراءات الفرنسية التي سنّتها فرنسا وطبّقتها على أرض الجزائر؟ ما هي المواقف المحمودة والمذمومة وما هي المواقف التي تحتمل هذا وهذا؟ هل هناك عوامل مؤثرة على مواقف العلماء سلبا وإيجابا؟

1. 3. أهداف البحث:

يمكن حصر أهداف هذا العمل في الآتي:

- إبراز المواقف المشرفة المتنوعة لعلماء الجزائر في هذه الفترة العصيبة.

- معرفة العوامل المؤثرة سلبا على مواقف العلماء.

- تنزيل هذه المواقف في واقعنا المعاصر بتتبع السبل المحمودة والحذر من الوقوع في السبل المذمومة.

- التأكيد على أنه لا يخلو زمان من صادع بالحق وناكث للعهد.

1. 4. الدراسات السابقة:

هذه الدراسة هي استقراء لبعض المواقف في فترة معينة من تاريخ الجزائر، ومن خلال اطلاعي لم أجد من كتب في هذا الموضوع بهذه الصورة، مع أن الملاحظ على كتب التاريخ والتراجم أنها قد ذكرت مواقف كثيرة لعلماء الجزائر في هذه الفترة، لكنها تبقى معلومات مبثوثة في بطون الكتب، كثير منها لا يجمع بينها جامع، والبعض الآخر في غير هذا الباب.

1. 5. المنهج العلمي المتبع:

استدعى هذا البحث منهجين أساسيين هما:

المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء مواقف علماء الجزائر المختلفة طيلة فترة الاحتلال الفرنسي.

المنهج التحليلي: وتم الاستعانة به في تحليل المواقف التي تم استقراؤها، واستخراج الأحكام المناسبة لذلك.

1. 6. خطة البحث:

سيرا مع إشكالية البحث ارتأيت أن تعالج خطة البحث العناصر التالية:

المقدمة: وتضمنت الإشارة إلى أهمية الموضوع، وإشكاليته، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: نبذة عن أوضاع الجزائر تحت السلطة الفرنسية فترة الاحتلال الفرنسي وتضمن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية

المبحث الثاني: أبرز مواقف علماء الجزائر في مجابهة التعسفات الفرنسية وتضمّن خمسة مواقف: المواجهة والقتال، الصدع بالحق، المداراة، المداهنة، وأخيرا السكوت.

الخاتمة: وشملت أبرز النتائج وبعض التوصيات.

---

2. المبحث الأول: نبذة عن أوضاع الجزائر فترة الاحتلال الفرنسي

قبل التعرف عن بعض مواقف علماء الجزائر، يجدر الإشارة إلى بعض الإجراءات الفرنسية التي سنّتها فرنسا وطبّقتها على أرض الجزائر.

1.2 المطلب الأول: الأوضاع السياسية بالجزائر فترة الاحتلال الفرنسي :

عندما دخل الفرنسيون أرض الجزائر، واحتلوا العاصمة عام 1830، استقر رأي الاحتلال الفرنسي على البقاء والاستيلاء على باقيها والاحتفاظ بها، منتهجة سياسة العنف المادي والمعنوي على أوسع نطاق، ومن تلك الوسائل والإجراءات:

2. 1. 1. نقض العهود المتعلقة بحقوق الجزائريين:

أوّل ما قامت به القوات الفرنسية هو نقضها للعهود والمواثيق التي نشرتها، وقدمت الأيمان بشرفها عليها، حيث قضت على كثير من الأرواح البريئة رجالا ونساء وأطفالا، كما استولت على أموال الخزينة والأوقاف، وهدمت كثيرا من البيوت والمساجد والمدارس، ونهبت كثيرا من الممتلكات الخاصة، وطردت العثمانيين[2].

كما أنها نقضت عهدها حين وعدت الجزائريين بمنح الحرية وتحسين المعيشة حين الانتصار في الحرب العالمية الثانية، فلما خرج الشعب الجزائري ليحتفل بهذا الانتصار، لم يكن من المحتل الغاصب إلا أن وجه سلاحه وصب وحشيته تجاهه، استنفر فيه جميع قواته البرية والجوية والبحرية وميليشيا

المستوطنين، كانت نتيجتها مجزرة رهيبة قوامها أزيد من 45 ألف شهيد، إضافة إلى أعمال قصف ونهب وتدمير وانتهاك للأعراض، واعتقال الآلاف وحل الأحزاب والجمعيات[3].

2. 1. 2. عملية الاستيطان وضم الجزائر إلى فرنسا:

عمل الاحتلال الفرنسي منذ 1830م على تشجيع عملية الهجرة من فرنسا خاصة ومن أوروبا عامة إلى الاستيطان بالجزائر، وتوقفت نسبيا أثناء الحرب العالمية الأولى، وخلال هذه الفترة تكونت طبقة بورجوازية من المستوطنين في المدن وطبقة من الإقطاعيين في الأرياف بعد أن استولوا على أخصب الأراضي، خاصة السهول الكبرى[4]؛ نجم عنه مصادرة أراضي شاسعة للجزائريين، وحرمانهم منها أو تعويضهم بأراضي قاحلة، والذي كان سببا من أسباب الهجرة والفقر والبطالة والمجاعة والأوبئة[5].

كما تم الإعلان "أنّ أرض الجزائر قطعة طبيعية من فرنسا، وأنها جزء من أم الوطن، وأن الفرنسيين ينتخبون نائبين عنهم للمجالس القومية الفرنسية بباريس؛ كأن لا وجود للمسلمين"[6].

2. 1. 3. التجنيد:

فرضت السلطة الفرنسية عام 1912م على شباب الأهالي للالتحاق بالجيش الفرنسي، قانونا مجحفا يمس بالشخصية الجزائرية المسلمة، ألا وهو قانون التجنيد، وكان نتيجة هذا القانون مشاركة أكثر من مائة ألف جزائري في الحرب العالمية الأولى تكبّد فيها الجزائريون 19074 قتيلا، و72035 جريحا، و8779 معطوبا[7].

2. 1. 4. التجنيس:

لقد كانت سياسة إدماج الجزائريين في فرنسا من أهم الأهداف لدى المحتل الفرنسي، ولما كان التجنيس جزءاً من الإدماج سارعت لتطبيقه، والمقصود بالتجنيس: هو الدخول في جنسية العنصر الغالب والاندماج فيها، مع التنازل عن مقوماتها الشخصية، ويعتبر التنازل عن قانون أحوال الشخصية الإسلامية شرطا أساسيا في إعطاء الجنسية الفرنسية للمتجنس[8].

وبالنسبة لوضعية المسلم الجزائري فقد اعتُبر قانونا فرنسيا؛ عليه كل ما على الفرنسيين وأكثر، وليس له من الحقوق إلا أدناها، لتعلقه بأحكام الشريعة الإسلامية المنافي للقانون المدني الفرنسي، ونتيجة لقرار 4 نوفمبر 1848 الذي ينص بإلحاق الجزائر إلحاقا تاما بفرنسا صدر قانون مفاده أن المسلم الجزائري رعية فرنسية يقوم بالواجبات، ولا يتمتع بالحقوق الفرنسية إلا إذا رضي بالخروج عن أحكام الشريعة الإسلامية، وما يتعلق بالأحوال الشخصية، ودخل تحت القانون المدني الفرنسي[9].

2.2. المطلب الثاني : الأوضاع الاقتصادية بالجزائر فترة الاحتلال الفرنسي :

ويمكن رصد الوضع الاقتصادي العام بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي من خلال النقاط الآتية:

2. 2. 1. قانون الأهالي :

المعروف بـ (الأنديجينا) بدأ العمل به سنة 1874م وهو عبارة عن مجموعة من الإجراءات الاستثنائية التعسفية نصت على:

(أ) معاقبة الأهالي لأدنى عمل يقومون به.

(ب) مصادرة أملاكهم دون حكم قضائي.

(ج) منع الأهالي من التنقل بين الأقاليم المختلفة دون رخصة.

(د) منع التجمعات والاجتماعات مع منع الجزائريين من الذهاب للحج.

والقصد من إصدار هذا القانون هو تضييق الخناق على الجزائريين وجعلهم يعيشون في جو من الظلم والشعور بانعدامهم للآدمية ومن ثم دفعهم للهجرة من بلادهم وإحلال المستوطنين محلهم[10].

2. 2. 2. الصناعة:

كانت الصناعة الجزائرية جزءًا من السياسة الفرنسية، لذا كان إحداث صناعة في الجزائر معناه مزاحمة "معامل فرنسا، وهذا مالا ترضاه دولة الاحتلال بحال. كما أن تصنيع القطر الجزائري يغير وضعية سوق اليد العاملة الجزائرية، فيغري العمال الجزائريين بالعمل الصناعي، المرتفع الأجور ويزهدهم في العمل الفلاحي عند المستعمرين مقابل الأجور المنخفضة، وهذا ليس في مصلحة المستعمرين"[11]. وأغلب الصناعات التي بقيت تضررت جراء الاستيطان والسياسة الفرنسية، فقد تلاشت أمام توفر المصنوعات الفرنسية ورخصها، وأضحت الجزائر مختصة في تصدير المواد الأولية[12].

2. 2. 3. الزراعة:

بعد اغتصاب أراضي الجزائريين، والاستيلاء على أخصبها، وتسليمها مجانا للمستوطنين الأوروبيين؛ تحول الفلاحون الجزائريون من مُلاّك للأرض إلى مجرد خماسين أو أجراء أو عاطلين عن العمل، وقد وصلت جملة الأراضي التي صودرت من الجزائريين بداية القرن 20 إلى 2250000 هكتارا هي من أخصب الأراضي، وصار معدل ما يملكه الفلاح الجزائري 14 هكتارا في مقابل 108 هكتارات لكل فلاح مستوطن أوروبي، فضلا أن أغلبها أراضي قاحلة أو جبلية؛ والنتيجة الحتمية لهذه الظاهرة هو تدهور الحياة الاقتصادية للجزائريين[13].

2. 3 المطلب الثالث: الأوضاع الاجتماعية بالجزائر فترة الاحتلال الفرنسي :

ويمكن رصد الوضع الاجتماعي بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي من خلال النقاط الآتية:

2. 3. 1. التعليم:

عرف التعليم الجزائري بعد الاحتلال تدهورا عظيما، بفعل السياسة الفرنسية، منها مصادرة وهدم كثير من مدارس التعليم والمساجد ، ومنع تدريس اللغة العربية لأبناء الجزائر، وجعل التعليم باللغة الفرنسية في جميع المراحل، وقبل ذلك فرنسة الإدارة فرنسة كاملة، ومحاربة حركة التعليم العربي الحر، ووضع شروط تعسفية على منح رخص التعليم، بهدف محو اللغة العربية ونشر الأمية. كما تم إصدار قانون رسمي عام 1938 يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، والذي بقي من تعليم العربية قُسّم إلى عربية فصحى، وعربية عامية، وعربية حديثة[14]. وأصدرت عام 1945 قرارا يفرض على كل معلمي اللغة العربية معرفة اللغة الفرنسية كشرط لتوظيفهم في المدارس. وفي عام 1947 نص الدستور على الاعتراف باللغة العربية وتدريسها مع الفرنسية، لكنه لم يطبق على أرض الواقع؛ بل بقيت اللغة العربية محاربة حتى الاستقلال[15].

2. 3. 2. الصحة:

وفيما يخص الصحة فقد مرضت الجزائر وتدهورت أحوالها منذ دخول الاحتلال، بدل تطورها، وخلقت السلطة الفرنسية حالة يرثى لها، ففي آخر فترات الاحتلال وصل معدل حياة الفرد الأوروبي في الجزائر إلى 72 عاما ونصف العام، في المقابل كان الجزائري لا يتجاوز 50 سنة، لكثرة الأمراض والأوبئة، وتدهور المستوى المعيشي، فضلا عن المجاعات الفظيعة التي أصابت الجزائر في فترات متباينة مثل مجاعة سنة 1867- 1868م و1921م [16].

2. 4 المطلب الرابع: الأوضاع الدينية بالجزائر فترة الاحتلال الفرنسي :

كان من الأهداف الكبرى لدى المستعمر القضاء على الدين الإسلامي في الجزائر وإدخالهم إلى المسيحية، أو على الأقل إخراجهم من الإسلام إلى الانحلال والتمييع، وهدم مقوماته، لذا اتبع المحتل طرقا عدة للقضاء على الشخصية الإسلامية الجزائرية[17].

2. 4. 1. الأوقاف:

صدر عام 1830 قرار يقضي بالاستيلاء على جميع الأوقاف الإسلامية، والتصرف فيها بالتأجير والكراء وغيره، إلى أن جاء قانون 1873 الذي صودرت بموجبه نهائيا كل أملاك الأوقاف. علما أن الأوقاف كانت الراعي والممون الرئيسي للنشاطات الدينية والتعليمية [18].

2. 4. 2. القضاء الإسلامي :

كان يمثل أحد الأسس القوية في ثبات الشخصية الجزائرية المسلمة، لذا قامت السلطات الفرنسية بإجراءات تعسفية؛ منها نفي العلماء والقضاة الذين رأت أنهم لا يعملون معها. وتطورت القرارات إلى أن أُعلن محو شخصية القاضي المسلم وتعويضه بالقاضي الفرنسي، وعليه ألغي قضاة الشرع الإسلامي، ثم ألغي المجلس الأعلى للقانون الإسلامي والمجالس الاستشارية، وانخفض عدد محاكم الشرع الإسلامي، ثم أخضعت المحاكم الشرعية للوالي العام، وبقي هذا الوضع طيلة فترة الاحتلال الفرنسي [19].

2. 4. 3. التنصير:

السعي لترسيخ النصرانية في الجزائر كان واضحا من خلال التصريحات الكثيرة لقادتهم وزعمائهم، فضلا عن التأييد المادي والمعنوي للمؤسسات والهيئات التبشيرية[20].

ورغم تطبيق قانون فصل الدين عن الدولة الذي صدر في فرنسا عام 1905 إلا أنه طُبّق على الدين اليهودي والمسيحي فقط، دون الدين الإسلامي، وهذا حتى لا يخرج عن سيطرتها، وقد بقي هذا الوضع المأساوي حتى جاء الاستقلال[21].

3. المبحث الثاني: مواقف علماء الجزائر في مجابهة التعسفات الفرنسية فترة الاحتلال

إن المتأمل في أحوال الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي يجد أن السلطة الفرنسية كانت تُصدر أحكاما جائرة بين الفينة والأخرى، من يوم احتلالها إلى يوم الاستقلال، وفي المقابل نجد أن علماء الجزائر كانت لهم ردود فعل مختلفة ومتباينة تجاه هذه القرارات؛ ومن خلال استقراء أحوال التاريخ الجزائري تبرز لدى الباحث مواقف مختلفة، نستعرض أهمها في المطالب التالية:

1.3. المطلب الأول: المواجهة والقتال:

ونقصد به مشاركة العلماء في الجهاد الشرعي، الذي يكون عن طريق التضحية بالنفس من أجل الدفاع عن الدين والوطن؛ ونجده واضحا في مرحلتين بارزتين:

3. 1. 1. مرحلة المقاومات الشعبية: فقد كان القرن التاسع عشر بعد دخول الفرنسيين مليئا بالثورات والمقاومات، ولا نجد مقاومةً مسلحة بدايةً من 1830 إلا وكان العلماء هم الموجّهون، والقادة الفعليّون والميدانيّون، وحتى القادة الروحيون لهذه المقاومات، وعلى رأس هؤلاء، الأمير عبد القادر الجزائري[22]، الذي كان قائدا وعالما وأديبا ومفسرا وشاعرا، والذي ضرب أروع الأمثلة في المقاومة والاستبسال لمدة 17 سنة (23)، واستمرت المواجهة بقيادة أو توجيه المشايخ والعلماء في باقي الثورات؛ من ذلك ثورة

الزّعاطشة بزعامة الشيخ بوزيان، ورفيقه موسى الدرقاوي عام 1849، ثم ثورة القبائل (1851-1857) بزعامة الشريف بوبغلة، وثورة أولاد سيدي الشّيخ (1864-1881)، وثورة الشيخ المقراني والشيخ الحداد (1871- 1872)، وثورة الشّيخ بوعمامة (1881-1908) وغيرها[24].

3. 1. 2. مرحلة الثورة التحريرية الكبرى : وهي الانتفاضة الكبرى للجزائريين على المحتل الفرنسي، والتي اندلعت أول نوفمبر 1954 واستمرت إلى الاستقلال عام 1962، وقد شارك في هذه الثورة المباركة جميع طبقات المجتمع الجزائري رجالا ونساءً، صغارا وكبارا، سياسيين وإصلاحيين، فضلا عن علماء الجزائر وطلابهم ممن ثار على فرنسا وشارك في هذه الحرب.

يقول البشير الإبراهيمي[25]: « وكلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبها وألزمها في أعناقنا، إنّما هو الكفاح المسلّح، فهو الذي يسقط علينا الواجبات، ويدفع عنّا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلّح، فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسنيين؛ إما موتٌ وراءه جنّة، وإمّا حياة وراءها العزّة والكرامة»[26].

2.3 .المطلب الثاني : الصدع بالحق:

ويقصد به ذلك الأسلوب الذي يتميز بالصراحة والشدة، ويُلمس فيه الصدق والمصداقية في النوايا والمقاصد، والحرارة في العزم، والثبات على المبدأِ الحق، وهذا الأسلوب لا موقع فيه للتلميح ولا للمداهنة أو اللين.

لقد كان المحتل الفرنسي عنصرا مستبدا لا يمكن الوقوف ضد قراراته أيا كانت، لذا كان اعتراض العلماء على هذه القرارات علنا وتصريحا لا تلميحا، يعد مجازفة خطيرة، تحتمل النفي أو السجن أو القتل، فها هو مفتي الحنفية ابن العنابي[27]، ومفتي المالكية ابن الكبابطي[28] يقفان في وجه الإدارة الفرنسية فيتعرضان للنفي خارج الجزائر؛ فقد كان ابن العنابي شديد النقد للسلطات الفرنسية على خرقها الاتفاق بين الداي حسين والكونت دي بورمون، لذا ضاق الجنرال كلوزيل ذرعا بجرأة المفتي فقرّر وضع حدّ لذلك، فألقى عليه القبض وقاده للسجن بتهمة تدبير مؤامرة ضد الوجود الفرنسي وإعادة الحكم العثماني ثم نفاه عن الجزائر[29].

وأما مصطفى بن الكبابطي، فقد وقف عام 1843 ضد قرارين رسميين، الأول ضم الأوقاف الإسلامية إلى أملاك الدولة، والثاني إدخال اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية، وكانت معارضته على أسس دينية ووطنية، لذا بقي رمزا للتحدي الوطني رغم نفيه من الجزائر[30].

وفي مواجهة التنصير نجد الجواب الصريح لمن كان يمثل سكان منطقة القبائل للضابط الفرنسي: "إننا لن نتخلى أبدا عن ديننا، وإذا كانت الحكومة تريد إرغامنا على ذلك، فنحن نطلب منها الوسيلة لمغادرة البلاد. وإذا لم نجد هذه الوسيلة فنحن نفضل الموت على التخلي عن ديننا"[31].

كما نجد لأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[32] مواقف جريئة في الوقوف ضد قرارات السلطة الفرنسية، وهي مواقف يعسُر عدُّها، خاصة لو استقرأنا المقالات الكثيرة المبثوثة في جرائد الجمعية وجرائد أعضائها الفردية، وعلى رأس هؤلاء الشيخ عبد الحميد بن باديس[33]، فمن مواقفه العديدة موقفه من قضية التجنيس وقضية التضييق على التعليم، فأما الأول فبعد صولات وجولات مع هذه القضية من خلال مواقفه ومقالاته[34] ختمها بفتواه الشهيرة، التي صادقت عليها لجنة الإفتاء بالجمعية، حيث كان لها صدى كبير ووقع عظيم، لا في الجزائر فحسب، بل خارجها أيضا، إذ كانت بمثابة الضربة القاضية على التجنيس والمتجنسين[35]. وهذا في وقت كانت فرنسا تستعد للحرب العالمية الأولى، وهو ما يعد تحديا كبيرا لسلطة الاحتلال. وأما قضية التعليم فقد كان رده شديدا وصريحا أمام التضييق على المعلم ومنعه من التعليم إلا برخصة، وذلك من خلال مقال معنون بـ: "يا الله للإسلام والعربية في الجزائر: كل من يعلم بلا رخصة يُغرّم ثم يُغرّم ويسجن" [36] حيث وصفه بأنه قانون العقاب الرهيب.

وفي نفس القضية كان للشيخ العقبي37 الذي كان شديد الوطأة على الاستعمار الفرنسي وأعوانه من أصحاب الطرق الصوفية موقفا صريحا، فهو الذي نُعت بأنه عدوّ فرنسا، حيث كتب قائلاً:" إن الجزائر لو كانت بصدد ثورة أو كان لأبنائها القائمين على رأس حركتها من وسائل الثورة ما يقتضي قيامها لما بالت بتهديد ولا وعيد ولما صدّها عن خطتها سلطة تعزز ولا نفوذ يقوّى ويُوَسّع، وما دام أبناء الجزائر لم يجبنوا أمام قوة ألمانيا وحلفائها فهم لن يجبنوا أمام فرنسا"[38]. ولعل هذا هو السر في ملاحقة السلطات الفرنسية له طوال حياته الدعوية حتى ترك جمعية العلماء.

وأمّا خطيب الجزائر الشيخ الإبراهيمي، فقد اتسمت مقالاته بالجرأة والشجاعة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، إذ نجد أنه يصف الاستعمار بأبشع النعوت؛ حتى وصل به الحد إلى اعتباره شيطانا إذ قال: «يا هؤلاء إنّ الاستعمار شيطان! وإنّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، وإنّ الاستعمار شر، ومحال أن يأتي الشر بالخير» [39].

وهو القائل أيضا: «سندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة، وسنتلقّى هذه الأحكام بنفوس مطمئنة بالإيمان، وسندخل السجون بأعين قريرة، وسنلتقي (بإخواننا) المجرمين في مجالس الأحكام ومقاعد الاتهام... وحسبنا شرفًا أن يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا، وحسبنا فخرًا أن تكون التهمة "فتح مدرسة دينية أو قرآنية بدون رخصة"»[40].

وهكذا كان الحال بالنسبة لبقية إخوانه أمثال الشيخ العربي التبسي[41]، وإبراهيم اليقظان[42]، وتوفيق المدني[43] وغيرهم. وحتى من خارج الجمعية أمثال الشيخ صالح المهنا[44]، والثائر عمر راسم[45]، أو من الجانب الإباضي كالشيخ أطفيش[46] والشيخ بيوض[47]، إلى غير ذلك من الأعلام الذين لا يمكن عدّهم في هذه الأسطر.

وهذه المواقف عرّضت العديد من رجال الجزائر وعلمائها إلى التضييق والمحاكمات والسجن والنفي ومحاولات الاغتيال، بل وتعرّض نشاطها في التعليم والإصلاح إلى التجميد والمنع.

3.3. المطلب الثالث: المداراة

المداراة من دارَى فلانًا إذا لاينه ولاطفَه ورفَق به ليتّقي شره(48). والمقصود به هنا هو ذلك الأسلوب الواقع بين الصدع بالحق وبين المداهنة، مع استعمال اللين وبعض التلميح، دون التنازل عن المبادئ والثوابت الوطنية والدينية، ودون المواجهة.

ومنهج المداراة فترة الاحتلال هو سبيل أغلب العلماء، ذلك أنهم كانوا أمام حكم مستبد تمثله السلطة الفرنسية؛ فلم يكن موقف العلماء سهلا، "فقد كانوا يمشون على البيض كما يقول المثل الأجنبي، فهم من جهة كانوا يريدون تحقيق مبادئهم وأهدافهم بأية وسيلة مشروعة، ومن جهة أخرى كانوا واقعين تحت طائلة إجراءات استثنائية مستعدة لعرقلة سيرهم، بل لوضعهم في قفص الاتهام. لذلك كانوا يناورون ما وسعتهم الحيلة والمناورة ويجاملون ولكنهم لا يتنازلون عن مبادئهم. ومن أجل ذلك اصطدموا مرات بالإدارة"[49].

والواقع أنه منذ 1833 أخبر حمدان خوجة[50] بأنه لم تبق للعلماء جرأة أمام الحكام الفرنسيين المتغطرسين، فالعلماء لا يقولون ما يغير مزاج هؤلاء الحكام، لأن مصير من خالف هو النفي أو السجن[51].

ومن النماذج النيّرة في هذا الباب؛ ما انتهجه رائد الوطنية الشيخ حمدان خوجة في مذكراته ورسائله المطولة إلى الملك الفرنسي "لويس فيليب" وإلى كبار رجالات الحرب والسياسة بفرنسا، مستعملا الحكمة في التعامل مع حكومة فرنسا، وموظّفا أسلوب المداراة دون التنازل عن مبادئه الدينية والوطنية، ورغم ذلك كله إلا أن السلطة أحسّت بخطره على سياستها فنفته هو الآخر عن الجزائر بدعوى أنه كان من المتآمرين على فرنسا.

ومن أوضح الأدلة على إخلاص الرجل للقضية الجزائرية مع مداراة الحكومة الفرنسية؛ رسالته من فرنسا إلى صديقه بالجزائر سيدي محمود، يحرضه فيه على متابعة الكفاح والصمود تجاه العدو، ومما جاء فيها: «ولو أن الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتأليف ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك مما

لا أقدر على تحريره، كل ذلك لأجل إنقاذ بلدي لأكلوا لحمي وأوقعوا بي، والحمد لله سترني الله، وبعد كل مقال أنا كتبت وبينت، وأنتم يحرم عليكم السكوت، الله الله في دماء المسلمين، الله الله في ممالك الإسلام، الله الله في دين الإسلام...»[52].

وإذا رجعنا إلى علماء الجمعية نجد أن الطابع العام لطبيعة مقالاتها قبل الحرب العالمية الثانية هو استعمال المداراة ، وهذا لا يعني تناقضا في المواقف وتبدّلا في المبادئ بل إنّ ابن باديس وزملاءه كانوا يقتفون الحكمة، وينتهزون الفرصة؛ فكانوا يخاطبون فرنسا ويتحدثون إليها باللغة التي تحبّها، ويتخيَّرون الألفاظ والمصطلحات والتعابير التي تريد أن تسمعها، عملا بارتكاب الضرر الأخف، الذي هو شكر العدو، وبسط الكلام له، على الضرر الأشد، الذي هو هضم حقوق الجزائريين، وإضعاف شخصيتهم، دون التنازل عن المبادئ الضرورية والأهداف العامة التي كانت تسير عليها الجمعية، وهذا لهدف التمكين للدعوة الإصلاحية بتنويع الأساليب، واستعمال الحنكة في بعض الأحيان.

فإذا كان ابن باديس سلك منهج الصدع بالحق أحيانا، فقد سلك منهج المداراة في أحايين أخرى، كما هو الحال سنة 1925، في افتتاحية العدد الأول من جريدة المنتقد، حيث قال: «إن الأمة الجزائرية أمة ضعيفة ومتأخرة، فترى من ضرورتها الحيوية أن تكون في كنف أمة قوية عادلة متمدنة؛ لترقيها في سلم المدنية والعمران، ونرى هذا في فرنسا التي ربطتها روابط المصلحة والوداد. فنحن نخدم للتفاهم بين الأمتين، ونشرح للحكومة رغائب الشعب الجزائري، ونطالبها بصدق وصراحة بحقوقه لديها، ولا نرفع مطالبنا أبدا إلا إليها. ولا نستعين عليها، إلا بالمنصفين من أبنائها»[53].

كما نجد هذا المنهج بارزا بكثرة عند الموظفين لدى الإدارة الفرنسية، نظرا للوضع الحساس الذي يتطلبه طبيعة العمل لدى الفرنسيين من جهة، وطبيعة الولاء والبراء تجاه القضايا الوطنية لإخوانهم الجزائريين من جهة أخرى.

ولعل أحسن مثال لهذا هو الشيخ عبد القادر المجاوي[54]، الذي كان موظفا في المدارس الشرعية الفرنسية بالعاصمة، ومع ذلك لُقّب بأبي النهضة الجزائرية الحديثة، لأنه الرجل الذي استطاع تكوين جيل من العلماء الكبار الذين قادوا النهضة الحديثة، والحركة الإصلاحية، مستغلا التعليم والوعظ والتأليف والصحافة دون أن يدخل في صدام مع السلطة الفرنسية[55].

ومن العلماء البارزين الذين عملوا عند الإدارة الفرنسية، الشيخ أبو يعلى الزواوي[56]، فقد تقلّد مناصب عدّة منها: أنه عمل كاتبا بالمحكمة الجزائرية، ومترجما في قسم العلاقات الشرقية بوزارة الخارجية الفرنسية، وكاتبا محررا في القنصلية الفرنسية بدمشق ، ولاجئا سياسيا في مصر بعد أن فر من الشام، وهذا ما صرح به بقوله: «خدمت الحكومة الفرنسية ست عشرة سنة في باريس والشام ومصر»[57].

وهذا الأمر مع توتر الأوضاع السياسية آنذاك، هو الذي جعله يستعمل اللين والحكمة في معاملاته مع السلطات الفرنسية، ويعتبره تدرجا في طلب الحقوق، مع الرّفق في الكلام والمسالمة في بعض المواقف؛ فنجده مثلا في معرض المطالبة بحقوق التعليم يقول: «... ونطالب بهذا الرفق والمسالمة لأنه مفيد للأمة والدولة»[58].

ويتعدى هذا الأمر غيرهم من المدرسين والمفتين الرسميين الذين عملوا في ظل الإدارة الفرنسية، ودافعوا عن الثوابت الوطنية والحقوق الجزائرية، دون الصدام مع السلطة الفرنسية.

4.3. المطلب الرابع: المداهنة

إذا كانت المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا والدين أو أحدهما، فإن المداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا[59].

وإذا كان التاريخ الإسلامي قد سطّر لنا مواقف مشرّفة لكثير من علماء الإسلام، فإننا نجد في المقابل مواقف بعكس ذلك لبعض من انتسب للعلم، باعوا ضمائرهم وجبُنت نفوسهم وضعُفت عزائمهم في مواجهة الباطل وأهله، وفي عهد المحتل الفرنسي ارتبط هذا الضعف خاصة بأولئك الذين ارتبطت وظائفهم بالقضية الفرنسية، وكانوا ناعمين في مواقفهم تجاه القضايا الوطنية والدينية، بل كان بعضهم يعرّف بنفسه أنه تحت رحمة الفرنسيين، لأنهم يدفعون لهم الأجور؛ فأصبح بعضهم بذلك أدوات في يد السلطة الفرنسية تقوّلهم ما تشاء وينطقون باسمها ما تريد، ولم يكن يشاطرهم في سمعتهم ومكانتهم سوى رجال التصوف والمرابطين[60].

وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله: «هذه هي الخطوات الأولى في توظيف رجال الدين في الجزائر من قبل الفرنسيين، وقد استمر هذا الدور لهم مدة العهد الاستعماري، وكان منهم من استقال من وظيفه واختار العافية، ومنهم من هاجر تاركا وطنه وذكرياته، ومنهم من انتبه ضميره ولكن بعد حين، وأغلبيتهم رضيت بالحياة الذليلة وعاشت على الأجر القليل، سيما بعد أن تقدم العهد وانقطعت الصلات بالماضي ورجاله، فالهيئة الدينية كانت خليطا من الغث والسمين، وكان لبعضهم ظروفهم التي أملت عليهم هذا الوضع المحرج»[61].

وأما الصنف الثاني الذين غلب عليهم أسلوب المداهنة، فهم كثير من شيوخ التصوف؛ الذين كان لهم دور في التعاون مع المحتل ومباركة جهوده، واستغلال الناس وجمع حطام الدنيا، فضلا عن نشر الجهل والشرك والبدع والخرفات، والانغماس في الشهوات، فقد استطاع الاحتلال الفرنسيّ أن يحوّل الكثير منها من مقاومة الاحتلال إلى الدفاع عن مصالحه والوقوف ضد المقاومين، بل اعتباره صاحب رسالة تنويريّة[62].

ومن المواقف المشهورة التي تبرز دور هذا الأسلوب في خدمة المحتل، استغلال الإدارة الفرنسية للمؤسسات الدينية الكبرى، ممثّلة في كلّ من جامع القيروان، والأزهر، وعلماء مكّة والمدينة؛ عن طريق استصدار فتوى تتضمن شرعيّة الاحتلال الفرنسي وتجريم قتاله وتعتبِر المقاومة "إلقاءً بالنفس إلى التهلُكة". هذه الفتوى الغريبة حرّرها بعض الموالين لفرنسا من شيوخ التصوف، منهم الشيخ محمد التجاني، ومقدم الزاوية الطيبية، بعد أن أعدّت السلطات الفرنسية بعثة فيها هؤلاء الشيوخ أو نوابهم، ورافقوا الجاسوس الفرنسي ليون روش[63] سنة 1841 [64].

وكنموذج للرسائل التي تُلخص نظرة بعض الزوايا والطرق الصوفية للاحتلال الفرنسي والتقارب الفكري بينهم، رسالة الشيخ ابن عليوة، شيخ الطريقة العلاويّة حيث جاء فيها: «فكم هذا والقطر الجزائري متسربلًا بالراية الفرنسوية، متجمّلًا برونقها، والكل يعترف من أنها دولة من أسرع الدول سيرًا في سبيل الإصلاح، ومع هذا لم نستفد من ذلك الإصلاح، إلا ما نراه، كاللازم من عمارة السجون بسفهائنا، والطرقات بأبنائنا الفارغين من أعمال الدنيا والآخرة، ومع هذا فلست بقائل إن الحكومة الفرنسية تعمّدت ترك الإصلاح، كلا، إنما أقول: جهلت الطريق الموصلة إليه فأتت البيت من غير بابه»[65].

وبالنسبة لموقف الصوفية من الجهاد ومقاومة الاستعمار، فإنه موقف متباين، حيث نجد طائفة أعلنت الجهاد وقاومت الاستعمار، وفي الطرف الآخر طائفة نكصت عن الجهاد، وانزوت على نفسها؛ بل منهم من وقف جنبا إلى جنب مع المحتل وناصره وآزره، ودعا الناس للرضوخ له، واعتذر بأنه قضاء وقدر يجب الرضا به، كما هو الحال بالنسبة للطريقة التجانية.

وعلى العموم يظهر أصحاب هذا الأسلوب عند كل موقف حسّاس ضد المصالح الوطنية وثوابت الأمة الجزائرية، مثل قضية فرض التجنيد وقضية المشاركة في الحرب العالمية الأولى والثانية، وقضية التجنيس وغيرها[66].

5.3. المطلب الخامس: السكوت

رأى بعض العلماء أن يتخذ موقفا مغايرا لما تقدّم فلا يواجه السلطة الفرنسية لا بحزم ولا بمداراة، وفي نفس الوقت لا يمالئها ولا يجاملها، بل رأى أن السكوت والتفرغ لنشر التعليم والتدريس هو عين الجهاد في هذا الوقت، وكان هذا مذهب بعض العلماء الرسميين، وكثير من المعلمين الأحرار في المدارس والزوايا التعليمية الذين لم تكن لهم علاقة مباشرة بالإدارة الفرنسية؛ حيث لا نجد لهم آراء مذكورة، ولا مقالات مكتوبة في مواضيع تتصادم فيها الثوابت الوطنية مع السلطة الفرنسية .

ولعل أبرز الشخصيات الجزائرية التي وصفت بهذا الموقف هو شخصية ابن أبي شنب[67] الذي عاش أحداث أوائل القرن التاسع عشر؛ مثل التجنيد الإجباري وظهور الجرائد والنوادي والجمعيات وتأليف

الوفود، واحتلال ليبيا والمغرب وزيارة الشيخ عبده. ومع ذلك لم يعرف له نشاط ظاهري ، وحتى ظهور حركة الأمير خالد السياسية، وحركة ابن باديس الإصلاحية لم يعرف فيها ظهور اسم ابن أبي شنب باستثناء التعليم والتأليف في هذه الأثناء.

ومع ذلك نجد أن الجزائريين المعاصرين له نوّهوا بمكانته، لأنه تمكّن من العلم، وحافظ على هندامه الوطني الأصيل الذي كان تحدّيا لسياسة الاندماج، ووصل إلى أعلى درجات الوظيفة الأكاديمية، ونشر كتب التراث مع تواضع ووقار، وانتخب لعضوية المجامع العلمية[68].

كما جاء أيضا في وصف أحدهم لبعض العلماء الرسميين البارزين، وهو ابن الموهوب[69]؛ "أنه لم يشارك في مختلف الحوارات عبر الجرائد، وذلك يرجع صورته كموظف رسمي لدى الإدارة الاستعمارية، فهو كان مراقَباً في كل حركاته وسكناته، وذلك لمكانته بين الناس والإدارة، لذا احتفظ بالسكوت"[70].

وإذا كان السكوت أحيانا مصدره الجبن، فإن السكوت في أحايين أخرى يكون عن حكمة، ويكون محمودا؛ ومن أبرز مواقف السكوت المحمودة التي تذكر في هذا المقام ما جاء في سيرة المفتي ابن زكري[71]، وبالتحديد في أزمة التجنيد الإجباري الذي فرضته السلطات الفرنسية على الجزائريين عام 1911، حيث عارضه كثير من علماء وشرفاء الجزائر، إذ هو موقف رجّ المجتمع الجزائري ليحصحص أهل الحق عن أهل الباطل، ويكشف عمن كان مواليا للإدارة الفرنسية، ومن كان مواليا للشعب الجزائري؛ وكان موقف ابن زكري موقفا حرجا لا يحسد عليه، إذ كان على كرسي الفتوى الذي يمثل الوظيف الفرنسي، فإن أيّد وهو يعلم بطلان هذا الحكم الجائر سقط في أعين المعارضين وأعين الشعب، وحُسب على حزب فرنسا، وإن هو عارض غضبت عليه السلطات الفرنسية وعاقبته، لأنه يُعد حينئذ قد استغل وظيفته الرسمية في موقف سياسي حسّاس، ولكن الله أنقذه بأن أرسل إليه صديقه دومينيك لوسياني (مدير الشؤون الأهلية) الذي اقترح عليه السفر إلى الخارج أثناء هذه الأزمة، فسافر إلى الشام[72].

ومع أنه لم يصدع بالحق في هذه المسألة، لكن الموقف الذي اتّخذه من السكوت والسفر حتى ينجو من القضية ينبئ عن حس وطني، وموقف شرعي، وإضمار مخالفةٍ للإدارة الفرنسية.

والموقف الثاني المحمود هو سكوت جمعية العلماء المسلمين عن تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية وتوقيف جريدتها الغراء "البصائر"، وفي افتتاح السلسلة الثانية من جريدة "البصائر" كتب الشيخ البشير الإبراهيمي مقالا طويلا بليغا، وتطرق فيه لعدة مواضيع؛ من ذلك دفاعه عن هذا الاتهام للجمعية، ومما جاء فيه قوله:

«... وكان تعطيلها لأوائل هذه الحرب مثلا شرودا في الحفاظ والإباء ومنقبة بكرا في الكبرياء والعزة، ذلك أنه لما تجهمت الأيام وتنكرت الأحداث واستبهمت المسالك ولوح لها أن تجري على ما يراد منها لا

على ما تريد قالت ما قالته الزباء قبلها بيدي لا بيد عمرو، وخار الله للقائمين عليها في ذلك التعطيل كما خار لهم من قبل في تقرير السكوت، ولعمري إن التعطيل خير من نشر الأباطيل. إن تقرير السكوت من غرر أعمال جمعية العلماء، ... ومن شواردها التي لا تصاد إلا ببعد النظر، فقد وقاها ذلك التقرير مزالق لا يتلاقى فيها رضا الله برضا المخلوق، ولقد كانت الجمعية تعلم أن القوة التي تستطيع الإسكات لا تستطيع الإنطاق، ولأن يسكت العاقل مختارا في وقت يحسن السكوت فيه خير من أن ينطق فيه مختارا في وقت لا يحسن الكلام فيه، وكل نطقة تمليها الظروف لا الضمائر تثمر سكتة عن الحق ما من ذلك بد...إن جمعية العلماء حين قررت السكوت حافظت على هاذين (القلم واللسان) ولم تتسامح في تسخيرهما لأحد، وتركت أحداث الدهر تعمل عملها، على أنها ما سكتت عن درس ديني أو علمي ولا عن نصيحة رشيدة ولا عن موعظة حسنة وإنما قررت السكوت عن كل ما يقال لها فيه قولي»[73].

4. خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن إبراز النتائج الآتية:

أ- إنّ السياسة الفرنسية في الجزائر طيلة فترة الاحتلال، والتي تميزت بقوانينها الجائرة، وقراراتها التعسفية كان لها الأثر البالغ على مواقف العلماء الجزائريين سلبا وإيجابا؛ فنتج عن ذلك سلوك سبيل الجهاد بالنفس، أو الصدع بكلمة الحق في وجه الباطل، أو المداراة في التعامل دون التنازل عن المبادئ الأصيلة، أو المداهنة بتقديم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، أو السكوت لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ب- لا بد في تقييم هذه المواقف من النظر في ملابسات الوضع والوقت الذي وردت فيه، كالسكوت الذي قد ينجم عن جبن، وقد يكون عن مصلحة راجحة، كما أنه قد يَجمع المرء بين أكثر من موقف لتغير المصلحة؛ كما هو واضح في الصدع بالحق والمداراة.

ت- يمكن اعتبار موقف السكوت في مرتبة أضعف الإيمان.

ث- لا يعتبر موقف المداهنة الذي هو تقديم الدنيا على الدين، أو المصلحة الخاصة على العامة موقفا محمودا، ولا هو من هدي الراسخين في العلم، ولا يعذر صاحبه إلا في حدود ضيقة كحالة الإكراه مثلا.

ج- الأثر البليغ على ارتباط العالم بالعمل الوظيفي لدى السلطة الحاكمة في تسييس خطاب العلماء وإضعاف مصداقيتهم.

ح- خطر الانتماءات البدعية كبعض الطرق الصوفية التي تصفق لكل ما يصدر عن الهيئة الحاكمة سواء كان حقا أم باطلا.

خ- الأثر السيئ على العالم حين قبوله لبعض الإغراءات المادية والمعنوية على المبادئ الأساسية.

د- ولعل التوصية العظيمة التي تليق بهذا البحث؛ هو أخذ العبرة من هذه المواقف، واتخاذ الموقف المناسب للمصلحة في كل مكان وزمان، والترفع للعالم خاصة من أن يكون بوقا للظلم والاستبداد، ومثلا للعالم السوء، والسعي في أن يكون عالم ملّة لا عالم أمة أو دولة.

5. قائمة المراجع:

5. 1. الكتب:

- الإبراهيمي، محمد البشير(1997)، آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيمي، ط1 (دار الغرب الإسلامي.
- ابن باديس، عبد الحميد (1968)، آثار ابن باديس، تح: عمار طالبي، ط1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية.
- أجيرون، شارل (1982)، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط1، دار منشورات عويدات، بيروت- باريس.
- بلاح، بشير، (2006)، تاريخ الجزائر المعاصر1830-1989، د.ط ، دار المعرفة، الجزائر.
- بوحوش، عمار (1997)، التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1962، ط1 دار الغرب الإسلامي، لبنان.
- بوعزيز، يحي (2007)، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830 -1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- تركي، رابح (1975)، التعليم القومي والشخصية الوطنية: 1931- 1956، د.ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- تركي، رابح (1981)، الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- التميمي، د. عبد المالك خلف (1983)، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، عالم المعرفة، عدد:71، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- الجيلالي، عبد الرحمن (1980)، تاريخ الجزائر العام، ط4، دار الثقافة، بيروت.
- حباسي، شاوش (دون تاريخ)، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830- 1962، دار هومة، الجزائر.
- خوجة، حمدان (2006)، المرآة، تعريب وتحقيق د. محمد العربي الزبيري، د.ط (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- الزبيري، العربي (1999)، تاريخ الجزائر المعاصر1، د.ط ، منشورات إتحاد الكتاب، سوريا.
- زروقة، عبد الرشيد (1999)، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر: 1913- 1940، ط1، دار الشهاب، بيروت.
- سعد الله، أبو القاسم (1990)، رائد التجديد الإسلامي: محمد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- سعد الله، أبو القاسم (1992)، الحركة الوطنية الجزائرية، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج2.
- سعد الله، أبو القاسم (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ج6.
- سعد الله، أبو القاسم (2007)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، دار البصائر، الجزائر، ج2.
- شراف، أميرة / والوافي، رحمة (2016)، النخبة الجزائرية المعربة خلال القرن العشرين: عبد الرحمن الجيلالي أنموذجا، مذكرة ماستر.
- عباس، فرحات (2005)، ليل الاستعمار، ترجمة بوبكر رحال، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- العثيمين، محمد بن صالح(1426هـ)، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، د،ط.
- العسقلاني، ابن حجر (1379هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه: فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار المعرفة، لبنان.
- العسلي، بشام (1990)، سلسلة جهاد شعب الجزائر، ط 3، دار النفائس، بيروت.
- عمارة، حياة (2014)، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
- عمر، أحمد مختار (2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب.
- عمورة، عمار (2002)، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، ط1، الجزائر.
- عوض، صالح (1989)، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، الزيتونة للإعلام والنشر.
- قنان، جمال (دون تاريخ)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد .
- قوبع، عبد القادر(2012)، الشيخ عبد القادر المجاوي ونشاطه الإصلاحي، الشيخ عبد القادر المجاوي، الملتقى الوطني بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.
- المدني، توفيق (دون تاريخ)، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، بدون معلومات.
- المدني، توفيق (دون تاريخ)، هذه هي الجزائر، بدون معلومات.
- ميسوم، بلقاسم، (2013)، سياسة فرنسا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر 1930- 1954، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، عدد:6.

5. 2. الجرائد:

- – جريدة البصائر الأولى والثانية
- – جريدة الشريعة
- – جريدة الشهاب
- – جريدة لسان الدين

5. 3. المواقع الإلكترونية:

- – عبد الحميد بن باديس باني النهضة العلمية والفكرية بالجزائر: أثر العلماء المسلمين الجزائريين في الجهاد ضد

الاحتلال الفرنسي، مازن مطبقاني،(2013)، https://binbadis.net/archives/755

6.الحواشي :

(1) عالم الْمِلَّة: الذي ينشر دين الإسلام، ويفتي بدين الإسلام عن علم، ولا يبالي أوافق أهواء الناس أم لم يوافق.
وعالم الدولة: الذي ينظر ماذا تريد الدولة فيفتي بما تريد الدولة، ولو كان في ذلك تحريف للشرع.
وأما عالم الأمة: فهو الذي ينظر ماذا يرضي الناس، ولو مع تحريف نصوص الشرع من أجل موافقة أهواء الناس.
ينظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، 4/307-308.

(2) ينظر بعضا من هذه التجاوزات: كتاب المرآة، حمدان خوجة، ص43-44/66/98/ 207/ 243-249، الحركة الوطنية، أبو القاسم سعد الله، ص23-27، وانظر: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، عمار بوحوش، ص 100-104 .

(3) ينظر: هذه هي الجزائر، توفيق المدني، ص176- 180/ تاريخ الجزائر المعاصر، بشير بلاح، ص 455- 458.

(4) ينظر: الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، عبد المالك التميمي، ص21- 22/ تاريخ الجزائر المعاصرة، شارل أجيرون، ص41- 44/ سلسلة جهاد شعب الجزائر، بسام العسلي، (72/5)

(5) ينظر: ليل الاستعمار، فرحات عباس ، ص 68.

(6) هذه هي الجزائر، مصدر سابق، ص 97.

(7) ينظر: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، يحي بوعزيز، ص43- 45/ تاريخ الجزائر المعاصر، بشير بلاح، مصدر سابق، ص 354- 355.

(8) ينظر: الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، تركي رابح، ص 268.

(9) ينظر: كتاب الجزائر، توفيق المدني، ص 349- 350.

(10) ينظر: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جمال قنان، ص 126- 129.

(11) هذه هي الجزائر، ص 126

(12) ينظر: تاريخ الجزائر المعاصر ج1، العربي الزبيري، ص 20

(13) ينظر: تاريخ الجزائر المعاصر، بشير بلاح، مصدر سابق، ص 17- 18./ موجز في تاريخ الجزائر، عمار عمورة، ص 119.

(14) ينظر: التعليم القومي والشخصية الوطنية: 1931- 1956، مصدر سابق، ص 101- 102 .

(15) ينظر: سياسة التسلط الاستعماري، مصدر سابق، ص60- 61

(16) ينظر: سياسة فرنسا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر 1930- 1954، بلقاسم ميسوم، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، عدد: 6، ص66.

(17) ينظر: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، مصدر سابق، ص 204

(18) ينظر: سياسة التسلط الاستعماري، مصدر سابق، ص66- 67/ بشير بلاح، ص124.

(19) ينظر: سياسة التسلط الاستعماري، مصدر سابق، ص40 -41.

(20) ينظر مثلا: من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830- 1962، شاوش حباسي، ص12- 13.

(21) ينظر: سياسة فرنسا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر، مصدر سابق، ص 71.

(22) (1222- 1300هـ = 1807- 1883م): عبد القادر ابن محيي الدين بن مصطفى الحسني: أمير مجاهد، شاعر، أديب، عالم، صوفي، قاتل الفرنسيين وألحق بهم هزائم كبيرة، استسلم عام 1847 ونفي إلى طولون ومنها إلى أنبواز. ثم أفرج عنه و توجه إلى دمشق سنة 1271 وبها توفي. معجم أعلام الجزائر، ص103- 104.

(23) ينظر: هذه هي الجزائر، مصدر سابق، ص 85-89.

(24) ينظر مثلا: بشير بلاح، مصدر سابق، ص 125وما بعدها.

(25) (1306- 1358هـ/ 1889- 1965) عضو المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، أحد الخطباء والكتّاب البلغاء، والعلماء بالأدب والتاريخ واللغة وعلوم الدين، من أبرز مؤسسي جمعية العلماء، أشرف على جريدة البصائر، نُفي وسجن وعُذّب من طرف الاحتلال، رحل خارج الجزائر 1952، وساند الثورة الجزائرية. ينظر: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص12- 13.

(26) آثار البشير الإبراهيمي، 36/5.

(27) (1189-1267هـ/1775-1850م): محمد بن محمود الشهير بابن العنابي، من أوائل المجددين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي، قاض، باحث، حنفي، ولد بمدينة الجزائر، بعد الاحتلال الفرنسي بسنة نفي لمصر، وبها توفي. من آثاره "السعي المحمود في نظام الجنود". ينظر معجم أعلام الجزائر: ص 245.

(28) (1189- 1277هـ/1775- 1860م): من فقهاء المالكية، الذين كان لهم اشتغال بالسياسة، ومساهمات شعرية، تولى التدريس والقضاء، نفي إلى مصر 1843، وبها توفي. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 273.

(29) ينظر: رائد التجديد الإسلامي: محمد بن العنابي، أبو القاسم سعد الله، ص 40.

(30) ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، 2/ 11، 14.

(31) موجز في تاريخ الجزائر، عمار عمورة، مرجع سابق، ص125

(32) وهي هيئة إسلامية عربية تأسست عام 1931م، وكان أساس قاعدتها هو الإسلام ديننا الجزائر وطننا العربية لغتنا، وقد استطاعت بفضل جهود أعضائها -وعلى رأسهم مجدد الدعوة الإصلاحية بالجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس- تحقيق هذا الشعار على أرض الواقع؛ مع ما لاقته من مضايقات وتنكيل بأعضائها وجرائدها.

(33) (1308 - 1359هـ / 1889 - 1940م): علم مشهور من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى وفاته. فرّغ نفسه لميدان التعليم والإصلاح، وكان شديد الحملات على الاستعمار الفرنسي. وأصدر عدة جرائد، أعظمها "الشهاب"، ينظر: معجم أعلام الجزائر، ص28-29.

(34) للتوسع في هذا ينظر: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ص 137 وما بعدها.

(35) ينظر: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 73. وراجع مصدر الفتوى: البصائر: عدد: 95، 14كانون الثاني 1938.

(36) ينظر: آثار ابن باديس، 3/ 243.

(37) (1307 - 1379هـ / 1890 - 1960م): خطيب، كاتب، صحفي، له شعر، من رجال الحركة الاصلاحية الاسلامية. كان له نشاط كبير في محاربة البدع والضلالات، شارك في تأسيس "جمعية العلماء المسلمين". ثم انفصل عنها أوائل الحرب العالمية الثانية . ينظر: معجم أعلام الجزائر، ص238- 239.

(38) موقع: عبد الحميد بن باديس باني النهضة العلمية والفكرية بالجزائر: أثر العلماء المسلمين الجزائريين في الجهاد ضد

الاحتلال الفرنسي، مازن مطبقاني. https://binbadis.net/archives/755، 14-11-2020، 18:52.

(39) جريدة البصائر، 29 أوت سنة 1947. ص1 ، وراجع مذكرة: حياة عمارة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددي، ص 149.

(40) آثار الإبراهيمي: 21/2.

(41) (1312- 1376ه/ 1895-1957م): أحد رجال الفكر الإصلاحي، وأبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين، اشتغل بالتعليم والإصلاح، سجن عدة مرات لمواقفه الوطنية، خطفه الفرنسيون واغتالوه. معجم أعلام الجزائر، ص 61.

(42) (1306- 1393هـ/ 1888- 1973). صحفي، شاعر، من رجال الإصلاح والتجديد، له اشتغال بالتاريخ والتراجم والفقه. ترك إنتاجا ضخما من الرسائل والكتب. ينظر: معجم أعلام الجزائر: ص: 356.

(43) (1317- 1404= 1899- 1983): سياسي أديب من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، اعتُقل بعد الحرب العالمية الأولى، نشط بعدها في الصحافة، وفي 1925 نفي للجزائر. الإعلام بأعلام الجزائر، ص 204.

(44) (1271-1328ه/1854-1910م): عالم سلفي من رواد الحركة الإصلاحية الذين حاربوا البدع، اشتغل بالتدريس بقسنطينة ومات بها. ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 323.

(45) 1883-1959م: صحفي، خطاط كبير، عرف بأفكاره السياسية الوطنية الجزائرية، و بمبدئه العبدوي. من أوائل المحاربين للصهيونية في العالم العربي قاطبة. ينظر معجم أعلام الجزائر:ص243، الصحف العربية الجزائرية: ص: 44

(46) (1236- 1333ه/ 1820- 1914): مجتهد إباضي، من أكابر العلماء بالفقه والأدب واللغة والتفسير، ومن رجال النهضة الاصلاحية الحديثة بالجزائر. معجم أعلام الجزائر، ص 19- 21.

(47) [1316- 1400هـ/ 1899 - 1980م]: عالم إباضي، مفسر، مجاهد، من أكابر العلماء المسلمين ورجال الإصلاح في وقته، شارك في النهضة الإصلاحية، السياسية والدينية، التي مهدت لقيام الثورة الجزائرية سنة 1954. عادل نويهض، 17/1.

(48) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر ، بمساعدة فريق عمل، 734/1.

(49) الحركة الوطنية، أبو القاسم سعد الله، 93/3.

(50) (نحو 1189- 1255ه/ 1775- 1840م): كاتب سياسي، من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، قارع الاستعمار بقلمه ولسانه، نُفي من الجزائر، أقام مدة في فرنسا، ثم سافر إلى القسطنطينية، واشتغل بالتأليف والترجمة إلى وفاته. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 136- 137.

(51) تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، 349/4، بتصرف.

(52) تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، 38/4- 39.

(53) ومن أمثلته أيضا ما جاء عنه في جريدة الشريعة: تعطيل "السنة" وإصدار "الشريعة": 17 جويلية 1933، ص1، ثم في افتتاح جريدة البصائر: 27 ديسمبر 1935.

(54) (1264- 1332هـ / 1848 - 1913م): مصلح تقليدي سلفي، خطيب، من كبار العلماء، تولى التدريس بقسنطينة، ثم في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية. معجم أعلام الجزائر، ص287.

(55) الشيخ عبد القادر المجاوي ونشاطه الإصلاحي، عبد القادر قوبع، الشيخ عبد القادر المجاوي، أعمال الملتقى الوطني بتلمسان: ص37- 38.

(56) (1295- 1373ه/ 1878- 1952م): كاتب صحفي خطيب، له اشتغال بالفقه والتاريخ، من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين وممن حارب الخرافات والبدع في كتاباته. معجم أعلام الجزائر، ص164.

(57) "أزمة ذبائح أهل الكتاب": الشهاب: ع 106: السنة3، 21محرم 1346/ 21 جويلية 1927، ص9 .

(58) "العلوم والمعارف لا يقوم بها إلا الحكومات أو الجماعات": الشهاب: ع 76، السنة2: 18جمادى الثانية 1345 / 23 ديسمبر 1926، ص6.

(59) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، 454/10

(60) ينظر تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، 352/4.

(61) المصدر نفسه، 361/4.

(62) ينظر تاريخ الجزائر المعاصر، بشير بلاح، ص 338.

ولا يعني هذا تعميم الأحكام على عموم الطرق الصوفية، إذ إنها تختلف من طريقة لأخرى ومن شيخ لآخر ومن زاوية لأخرى. لكن الدارس لحقيقتها يجد لها بعض الإيجابيات التي تذكر، في مقابل سلبيات تُحذر.

(63) ادعى الإسلام والتحق بخدمة الأمير عبد القادر وأصبح أحد مقربيه وكُتّابه الخواص، وتسمى بعمر بن عبد الله، ولما توترت العلاقة بين فرنسا والأمير عام 1939 هرب روش ورجع إلى قومه.

(64) المصدر نفسه، 363/6

(65) "كيف نتوخى الإصلاح؟"، مصطفى حافظ، جريدة لسان الدين، ع: 2، 9 جانفي 1923، ص1.

(66) والتي أفرزت لنا بعض النماذج بعضها أسوء من بعض، انظر مثلا شخصية ابن غبريط وترجمته في إتحاف المطالع، 542/2.

(67) (1287 - 1347/ 1866 - 1929م): باحث، عالم بالأدب. مُنح لقب دكتور في الآداب، يحسن عدة لغات. انتخب عضوا في عدة مجامع، وله مؤلفات وبحوث عديدة. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص189- 190.

(68) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، 172/8. وفيه مذهب آخر يرى أنه صنيعة المستشرقين، وأنه كان يخدم أهدافهم.

(69) (1283 - 1358هـ / 1866 - 1939م): كاتب، خطيب، شاعر، عين مفتيا للمذهب المالكي بقسنطينة. له عدد من المقالات الاجتماعية والثقافية. وكان يحسن الفرنسية ويجادل المستشرقين والمستعمرين. معجم أعلام الجزائر، ص324.

(70) النخبة الجزائرية المعربة خلال القرن العشرين: عبد الرحمن الجيلالي أنموذجا، أميرة شراف- رحمة الوافي، ص 18. لكن المتأمل يجد أنه لم يكتف بالسكوت بل مالأ الإدارة الفرنسية في مواقف متباينة كمسألة التجنيد.

(71) (1267- 1332ه/ 1851- 1914م): من أبرز مدرسي العاصمة، تولى الإمامة والإفتاء، وكانت له دراية بالفقه وعلم الكلام، عين مفتيا للمذهب المالكي بالعاصمة عام 1908. تاريخ الجزائر الثقافي، 3/ 97- 99.

(72) ينظر: المصدر نفسه.

(73) البصائر: 7 رمضان 1366/ 25 جويلية 1947، ص 1-2.